المحاضرة السادسة

مملكة أوجاريت

بلغت أوجاريت أوج ازدهارها ما بين 1400- 1200 ق.م ويعبر عن ذلك محفوظاتها الملكية (نحو ستة آلاف نص مسماري) التي دونت بلغات متعددة كالسورية والأكادية والحثية والحورية إلا أن القسم الأعظم من هذه المحفوظات كُتب بلغة غير معروفة سابقاً في اللغة الأوجاريتية نسبة إلى أوجاريت وبكتابة أبجدية جديدة مؤلفة من ثلاثين حرفاً مسمارياً ساكناً ممثل فيها حرف الألف بثلاث إشارات. وقد فك رموز هذه الكتابة الألماني هانز بَوَر H.Barer والفرنسيان ادوارد دورم E. D horme وشارل فيروللو Ch.virollea وذلك في العام 1930.

يعد اختراع الأبجدية أعظم اختراع عرفته البشرية بعد ابتكار الكتابة في أواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق.م, وقد تحقق في أوجاريت لأنها كانت مدينة تجارية عالمية التقى فيها التجار من مختلف أنحاء العالم القديم حاملين معهم ليس مواد التجارة فقط, بل أفكاراً وثقافات متعددة.

وقد استفاد الأوجاريتون في ذلك من نمطي الكتابة الهيروغليفية المصرية والكتابة المسمارية الرافدية, فأبدعوا ثلاثين حرفاً مسمارياً ساكناً تكتب من اليسار إلى اليمين على ألواح طينية, كانت تجفف تحت أشعة الشمس أو تشوى في أفران مرتفعة الحرارة لتكسب صلابة ومقاومة.

تصنف لغة أوجاريت ضمن الفرع الشمالي الغربي في لغات الشرق العربي القديم وهي لهجة كنعانية انتشرت في أوجاريت وجوارها وتشبه اللغة العربية الأكادية وغيرها من لغات المشرق القديم في كثير من الأوجه والصفات. تعطي محفوظات أوجاريت معلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية.

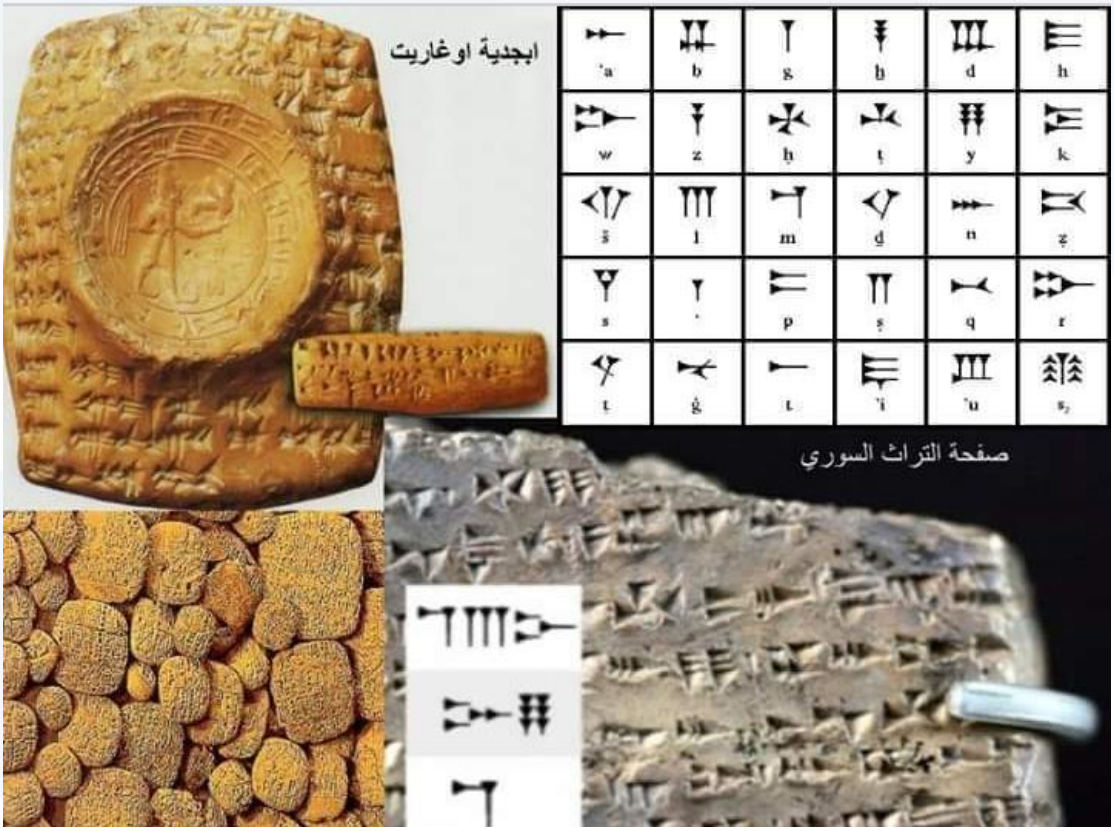

أوجاريت المدينة:

تألفت أوجاريت من قسمين المدينة العليا (الأكروبول) الذي توجد فيه القصور والمعابد, والمدينة السفلى حيث الأحياء السكنية وقد أحيطت بسور دفاعي ضخم كانت توجد فيه أربع بوابات كشفت عن البوابة الغربية منها. وكان الحجر المنحوت مادة البناء الرئيسة.

بُني القصر الملكي الكبير في شمال غربي أوجاريت وبلغت مساحته نحو هكتار واحد, وتألف من تسعين غرفة تلتف حول خمس باحات داخلية وتدل بقايا الأدراج المتبقية أنه كان يتألف من طابقين , الطابق السفلي للاستقبال والإدارة والعلوي لسكن الأسرة المالكة وشيد إلى الشمال والجنوب منه قصران آخران هما القصر الشمالي والقصر الجنوبي.

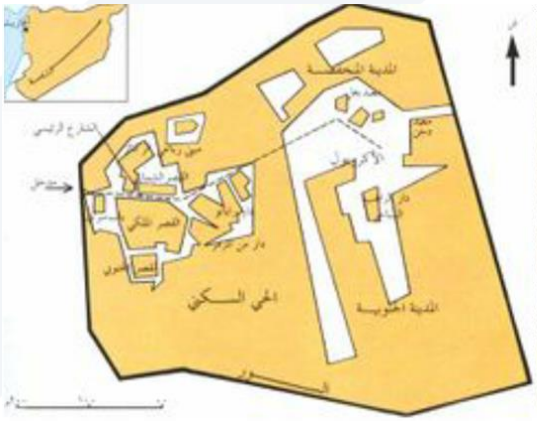

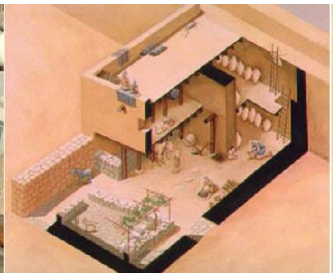

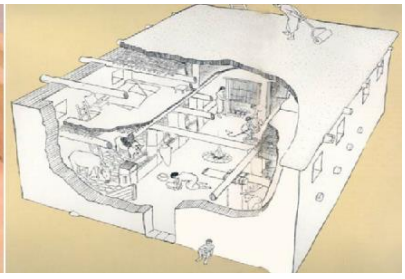

ملوك أوجاريت:

حكم أوجاريت في عصر ازدهارها الكبير سبعة أو ثمانية كان أولهم نيقمادو الثاني Niqmadu 2 1370– 1335 ق.م وكان معاصراً للملك الحثي شوبيلوليو الأول, وقد عقد معاهدة مع عزيرو حاكم أمورو لضمان سلامة الطرق التجارية المارة عبر أمورو والمتجهة غلى الساحل وأوجاريت وللمحافظة على ممتلكاته في اعتداءات عزيرو نفسه.

كانت أوجاريت قوية اقتصاديا لكنها ضعيفة عسكرياً, لذلك عقدت معاهدات مع أمورو والملك الحثي دفعت بموجبها جزية سنوية للملك الحثي عبارة عن ذهب وملابس وبالتالي يقوم الملك الحثي بمهاجمتهم ضد أي اعتداء.

بعد نيقمادو الثاني ابنه أرخاليا Archalba الذي حكم فترة قصيرة وعُزل من قبل الحثيين . ومن حكامها عميشتمرو الثاني– نيقمييا وكان تعينهم يتم عن طريق مراسيم حثية عثرت جميعها في أوجاريت.

تتحدث بعض نصوص أوجاريت عن قضية تسمي قضية (**ابنة السيدة العظيمة**) المتعلقة بخلاف بين ملك أوجاريت وزوجته الأمورية, نتيجة اقتراف هذه إثما كبيراً. وأدى هذا الأمر إلى سوء العلاقة بين أجاريت وأمورو.

كما يعود لعهد عُميشتمرو الثاني مرسوم آخر أصدره الملك الحثي لتسوية مشاكل الحدود بين أوجاريت وجارتها مملكة سيانو التي كانت تتبع لملك كركميش مباشرة.

وتم في عهد هذا الملك بتاء ضاحية ملكية جنوب أوجاريت وتتألف من قصرين وعدد من البيوت الكبيرة الفخمة اسمها بيروتي (أي الآبار) وهي موقع ابن هاني الحالي.

خلف إبيرانوا أبيه عُميشتمرو على عرش أوجاريت, لكن الملك الحثي لم يكن راضياً عنه لعدم ارسال الهدايا والسعاة إلى البلاط الحثي. ثم تولى بعده إبيرانوا ابنه نيقمادو الثالث ولا يوجد وثائق عنه.

آخر الملوك هو عمورابي Ammurapi استولى على السلطة بطريقة غير شرعية, لذلك حاول ربط نفسه في الأسلاف الملكيين السابقين, وفي عهده حدث دمار أوجاريت وإلى توقف التطور الحضاري فترة من الزمن.

التجارة في أوجاريت:

أدت التجارة دوراً أساسياً في حياة أوجاريت الاقتصادية وأقامت علاقات نشطة مع قادش وسيانو وصيدا وبيروت, وهذا دليلاً على أهمية التجارة في حياة الأوجاريتون , ونجد كيف أن ملك أوجاريت يعقد الاتفاقيات مع الممالك الأخرى لحماية تجارتهم.

شكلت المنتجات التجارية صادرات أوجاريت الرئيسة كالحبوب والخمور والزيتون والعسل والأخشاب والأصواف. أما وارداتها فكانت المعادن الثمينة, وكانت أوجاريت تملك أسطولا كبيراً فهناك رسالة من الأرشيف الحثي تذكر مائة وخمسين سفينة أوجاريتية. كان ميناؤها الرئيس مينة البيضاء القريبة منها.

المعتقدات الدينية والأساطير:

آمن الأوجاريتون بآلهة متعددة يأتي في مقدمتها:

- إبل: كبير الآلهة الأوجاريتية وسيدها. وأبو البشر وخالق المخلوقات, ورمزه الثور وهو ما يدل على صلته بالتكاثر والخصوبة ويتصف بالحكمة والتسامح, وهو اله قديم في سورية يظهر في أسماء العلم في إبلا (مي- كا- إبل- (ميكائيل)).
- بعل Baal عبد الأوجاريتون بعل وهو اله الخصب والطقس والمطر والعواصف, ونسجوا عنه أسطورة تتحدث عن موته وعودته غلى الحياة أسطورة دورة بعل التي تعكس تعاقب فصول السنة. وكان مقره حسب الأسطورة جبل صافون Saphon الواقع شمال أوجاريت. وقد بني له في أوجاريت معبد كبير بعداه 22x 16م. وأحيط بسور لحمايته, وكان يتألف من حرم مربع الشكل تقريبا أمامه مدخل مربع, وله رواق وتوجد أمام المدخل ساحة كبيرة مسورة كانت مخصصة لاستقبال الأضاحي.

- عشتارت Ishtart آلهة الخصب والحب والحرب.
- داجان Dagan أحد آلهة الخصب القديمة في سورية.
- موت: اله الجدب والفناء.
- يسم: اله البحر.
- كوثار: اله الحرفيين والصناع.
- عناة: أخت بعل وحبيبته

استخدم الأوجاريتون الأساطير للتعبير عن معتقداتهم الدينية وتصوراتهم عن الكون والآلهة والمعبودات فوضعوا العديد منها مثل أسطورة ((دورة بعل)) وأسطورة ((مولد الآلهة)).

وتصف أسطورة دورة بعل الصراع بين الخصوبة والجدب بين الحياة والموت وبين الخير والشر, ويتجلى في الصراع بين بعل ويم اله البحر.

وتصف أسطورة مولد الآلهة ولادة الهي ((السحر والغروب)) (سَحَر وشاليم) وآلهة أخرى لا تعرف أسماءها.

تعد هذه الأساطير مصدراً من مصادر تاريخ أوجاريت, فهي قطعاً لأدبية رائعة عبر الإنسان من خلالها عن نظرته إلى الكون والحياة, والمخلوقات بأسلوب شعري رائع, فقد كانت بعض هذه الأساطير تُنشد في الأعياد والاحتفالات الدينية التي تقام في أوجاريت.

آثار أوجاريت الأدبية والفنية في الديانات والأدب:

- إرث أوجاريت الكتابي ليس كتاباً متكاملاً ومتجانساً كما هو الحال في الكتب الدينية, فهو مجموعة ألواح أدبية مكتوبة على الفخار مجهولة المؤلف تماماً. من تأليف الكهان أدو أدباء متعددين ويمثلون أجيالاً عدة , لم يكن هدفها عقيدة معينة بل إنها تركز على الفضائل ونبذ الشرور.
- تعد أوجاريت وماري ممثلين حقيقيين للإنتاج الفكري الديني المتمم لقسمه الشرقي في العراق.
- تمكننا الدراسات الأوجارتية من تحديد محاور, ومراكز نشوء التيارات الفكرية القديمة في مدن الفرات والساحل ومدن العراق وسورية وليس البادية أي إن التطور الكتابي والرمزي قد اخترع لحاجات حضارية مدنية وليس العكس فالبداوة ليست مراكز إبداع فكري أو ديني كما يتوهم بعض الدارسين.

- ديانة أوجاريت ليست مكرسة لأهداف ملكية أو قبلية بل كانت ناتج خبرة تأملية وحسب أفرزت علوماً مكرسة لأهداف ملكية مثل السحر, الطب, الحساب..
- أوجاريت وآثارها و أدبها هي في النتيجة أدب وتاريخ سوري .

نهاية أوجاريت:

أصاب الدمار أوجاريت ومعها الإمبراطورية الحثية في الأناضول وبعض المدن الأخرى كألالاخ – قادش– أمورو– كركميش وغيرها في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد, وهناك رأيان حول أسباب ذلك الدمار:

- ❖ الأول: يقول إن جماعات من منطقة بحر ايجة وما جاورها وهي التي عرفت بشعوب البحر, وهي المسؤولة عن الدمار والخراب, ويستشهد بهذا الرأي ببعض النصوص المكتشفة في أوجاريت.
- ❖ الثاني: فيرى أن دمار أوجاريت فسببه هزة عنيفة ضربت منطقة أوجاريت وأدت إلى خراب المدينة وما جاورها وهذا هو السبب الذي جعل أوجاريت لم تعد تستوطن بعد الكارثة التي حلت بها.

ربما بسبب تغير شروط الحياة والبيئة الطبيعية, فلم يظهر في المنطقة أي مركز استيطاني معتبر حتى العصر الهلينستي عندما أسست اللاذقية على يد سلوقس الأول نيكاتور مؤسس الإمبراطورية السلوقية.

منطقة دمشق وما جاورها:

دمشق لم تذكر في محفوظات ماري وإبلا رغم أنها كانت مستوطنة منذ العصر الحجري الحديث. يرد أقدم ذكر لدمشق في المصادر المكتوبة في قائمة المدن والبلدان التي أخضعها الفرعون المصري تحوتمس الثالث في أعقاب معركة مجيدّو 1468 ق.م, حيث ذكرت بلدة عدرا A-ta-ra .

وفي نصوص اللغة المصرية التي تعود إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة اسم المزة Ma-sa . أما رسائل عصر العمارنة فتذكر أن دمشق تقع في بلاد أوبي Upe وهي مخلصة للفرعون المصري.

وهناك لوح مسماري عُثر عليه في كامد اللوز في البقاع عبارة عن رسالة من الفرعون المصري أمنحوتب الرابع إلى (زلايا) ملك دمشق يطلب فيها إرسال مجموعة من المرتزقة غلى مصر لتوطينهم في النوبة, وهذا يدل على أن دمشق كانت تخضع للسيطرة المصرية حسب معلومات عصر العمارنة القليلة عنها, فيبدو أنها لم تكن ذات أهمية سياسية أو اقتصادية.